قسم / التربية الفنية

المرحلة / ماجستير

اسم المادة / التربية الجمالية

اسم المحاضرة / كانط وتأسيس علم الجمال الحديث

اعداد / أ.م.د أسامة عدنان الجبوري

2026

كانط وتأسيس علم الجمال الحديث

المقدمة

يُعد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط أحد أبرز المفكرين الذين أسهموا في تأسيس الفلسفة الحديثة، ولم يقتصر تأثيره على مجالات المعرفة والأخلاق، بل امتدّ إلى حقل الجماليات، حيث وضع الأسس النظرية لما يُعرف اليوم بـ علم الجمال الحديث (Aesthetics).

وقد جاء إسهامه الجمالي بصورة رئيسة في كتابه الشهير نقد ملكة الحكم الصادر عام ١٧٩٠، الذي مثّل تحوّلًا نوعيًا في فهم الجمال، من كونه صفة موضوعية في الأشياء إلى كونه تجربة حكمية ذات طابع تأملي.

أولًا: السياق الفلسفي قبل كانط

قبل كانط، كان التفكير الجمالي موزعًا بين اتجاهين رئيسين:

١. الاتجاه الموضوعي (الكلاسيكي):

حيث اعتُبر الجمال خاصية كامنة في الأشياء، كما عند أفلاطون الذي ربط الجمال بعالم المثل، وأرسطو الذي ربطه بالتناسب والانسجام.

٢. الاتجاه التجريبي:

كما عند ديفيد هيوم الذي جعل الذوق الجمالي قائمًا على الخبرة الحسية والتجربة، مع محاولة إيجاد معايير مشتركة للذوق.

لكن هذه الاتجاهات لم تنجح في حل إشكالية أساسية، وهي:

كيف يمكن أن يكون الحكم الجمالي ذاتيًا (مرتبطًا بالشعور) ومع ذلك يدّعي نوعًا من الكلية؟

وهنا يأتي دور كانط.

ثانيًا: مشروع كانط الفلسفي وعلاقته بالجمال

يندرج التفكير الجمالي عند كانط ضمن مشروعه النقدي العام الذي تجسّد في ثلاثة أعمال رئيسة:

- نقد العقل المحض (المعرفة)
- نقد العقل العملي (الأخلاق)
- نقد ملكة الحكم (الجمال والغاية)

في هذا الكتاب الأخير، حاول كانط الربط بين عالمي الضرورة (العلم) والحرية (الأخلاق) من خلال ملكة الحكم، التي تُعد وسيطًا بين العقل والحس.

ثالثًا: تعريف الجمال عند كانط

يعرّف كانط الجمال بأنه:

"موضوع لذة خالصة مجردة من المصلحة"

وهذا التعريف يحمل عدة أبعاد أساسية:

١. اللذة الجمالية لذة غير نفعية

الجمال لا يرتبط بالمنفعة أو الرغبة، بل هو تأمل حر.

فحين نستمتع بلوحة فنية، فإننا لا نرغب في امتلاكها بالضرورة، بل نعيش تجربة شعورية خالصة.

٢. الحكم الجمالي ذاتي لكنه كلي

الحكم الجمالي يصدر عن الشعور الفردي، لكنه يدّعي أن الآخرين ينبغي أن يوافقوا عليه.

وهنا تظهر مفارقة أساسية:

كيف يمكن للذاتي أن يكون كليًا؟

يجيب كانط بأن ذلك يتم عبر ما يسميه:

• الذوق المشترك (Sensus Communis)

أي وجود بنية مشتركة في الإدراك الإنساني تسمح بتعميم الأحكام الجمالية.

رابعًا: خصائص الحكم الجمالي عند كانط

حدد كانط أربع خصائص رئيسة للحكم الجمالي:

١. اللامصلحة (Disinterestedness)

الحكم الجمالي خالٍ من أي غرض نفعي أو أخلاقي.

٢. الكلية (Universality)

رغم أنه ذاتي، إلا أنه يُطرح بوصفه صالحًا للجميع.

٣. الضرورة (Necessity)

نشعر أن حكمنا الجمالي يجب أن يكون مقبولًا من الآخرين.

٤. الغاية بدون غاية (Purposiveness without Purpose)

العمل الفني يبدو وكأنه منظم وهادف، لكن دون هدف عملي محدد.

خامسًا: مفهوم "الجميل" و"السامي"

يميز كانط بين نوعين من التجربة الجمالية:

١. الجميل (The Beautiful)

• يرتبط بالانسجام والتناسب

• يولّد شعورًا بالراحة والانسجام

• مثال: لوحة متوازنة أو منظر طبيعي هادئ

٢. السامي (The Sublime)

• يرتبط بالعظمة والرهبة

• يولّد شعورًا مزدوجًا (إعجاب + رهبة)

• مثال: الجبال الشاهقة أو العواصف

السامي عند كانط يتجاوز الحواس، ويكشف عن قدرة العقل على إدراك ما يفوق الطبيعة.

سادسًا: دور الخيال والفهم في التجربة الجمالية

يرى كانط أن التجربة الجمالية تنشأ من توافق حر بين ملكتين:

• الخيال (Imagination)

• الفهم (Understanding)

هذا التفاعل الحر يُنتج حالة من الانسجام الداخلي، وهي أساس الشعور بالجمال.

سابعًا: العبقرية والفن عند كانط

يُدخل كانط مفهوم العبقرية (Genius) بوصفها أساس الإبداع الفني:

• العبقرية هي موهبة طبيعية تمنح الفن قواعده

• الفنان العبقري لا يقلّد، بل يبتكر

• العمل الفني الأصيل لا يُختزل في قواعد مسبقة

وهذا المفهوم مهّد لاحقًا لظهور الرومانسية التي مجّدت الإبداع الفردي.

ثامنًا: إسهام كانط في تأسيس علم الجمال الحديث

يمكن تلخيص دور كانط التأسيسي في النقاط التالية:

١. نقل الجمال من الموضوع إلى الذات

لم يعد الجمال خاصية في الأشياء، بل تجربة إدراكية شعورية.

٢. تأسيس الحكم الجمالي كحقل مستقل

فصل الجمال عن:

• المعرفة (الحقيقة)

• الأخلاق (الخير)

٣. إدخال مفهوم الذوق بوصفه ملكة حكم

أصبح الذوق أداة فلسفية وليس مجرد ميل شخصي.

٤. التأثير في الفلسفات اللاحقة

أثر كانط في:

• هيغل (الفن كتجلي للروح)

• شيلر (اللعب الجمالي)

• شوبنهاور (التأمل الفني والتحرر من الإرادة)

تاسعًا: تطبيقات على الفن التشكيلي

يمكن ربط فلسفة كانط بالفن التشكيلي من خلال:

- التأكيد على التلقي الجمالي الحر لدى المتذوق
- أهمية البنية الشكلية بدل المضمون النفعي.
- دور الخيال في بناء العمل الفني
- استقلال العمل الفني عن الوظيفة

وهذا واضح في العديد من الاتجاهات الحديثة مثل:

- الفن التجريدي
- الفن المفاهيمي

الخاتمة

يُعد إيمانويل كانط المؤسس الحقيقي لعلم الجمال الحديث، لأنه أعاد تعريف الجمال بوصفه تجربة إنسانية قائمة على الحكم التأملي الحر، وربط بين الذات والكلية بطريقة فلسفية عميقة.

لقد فتح كانط المجال لفهم الفن خارج إطار القواعد الصارمة أو المنفعة، وجعل من الذوق الجمالي مجالًا فلسفيًا مستقلًا، وهو ما مهّد لظهور التيارات الفنية والفلسفية الحديثة التي تركز على حرية الإبداع والتلقي.

انتهى